المصطلح الفني عند الكاتب إبراهيم السكران

مدخل إلى تطوير علم البيان

إعداد الدكتور:

محمد بن عامر بن سعد الصويغ

أستاذ الأدب والنقد المساعد

في قسم اللغة العربية، بجامعة الأمير سطام

بالمملكة العربية السعودية

الملخص

موضوع البحث: يتناول البحث المصطلحات البيانية في كتب إبراهيم السكران، من حيث المراد منها وتركيبها التي تكونت منه، وأثرها على بيان المعاني والدلالات التي رام الكاتب عرضها، وأثر هذه التجربة في توسيع أدوات علم البيان.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى الكشف عن أدوات بيانية جديدة وبيان أثر الاصطلاح في الكشف عن الدلالة وبيان الفكرة، وإبراز تجربة السكران الاصطلاحية وإظهار مدى جدواها في بيان المعنى.

منهج البحث: تقتضي طبيعة البحث أن أسلك المنهج الاستقرائي القائم على تتبع المصطلحات وإبرازها، مع الاستعانة بالمنهج الوصفي لتحليل هذه المصطلحات وبيان ما تتركب منه.

أهم النتائج: أن علم البيان واسع الأبواب والمواضيع لايقف على ما أنتجه المتقدمون، وأن من أبرز فنونه البيان بالاصطلاح، وأن تجربة إبراهيم السكران الاصطلاحية لها سمات أعلت شأنها منها: التجديد والإثراء والإدهاش وتوظيف نصوص التراث وغيرها.

أهم التوصيات: دفع الباحثين للكشف عن أدوات بيانية جديدة وتوسيع الدراسات في ذلك، مع ضرورة إبراز تجارب كبار الكتاب في مجال المصطلحات الفنية، وكذلك الإفادة من المصطلح الفني في نقل العلوم الوافدة وتعريبها.

الكلمات المفتاحية: علم البيان، الأدوات البيانية، المصطلح الفني.

The technical term when the writer Ibrahim ALsakran Introduction to the development of statement science

Preparation by the doctor:

Mohammed bin Amer bin Saad Al–Suwaij

Assistant Professor of Literature and Criticism

In the Department of Arabic Language, Prince Sattam University In Saudi

Arabiaaboameer3000@hotmail.com

Research Subject:

This research appeals to structural Reformers in Al-Sakran books through it meaning and how it built its structure. and it's effect to shows the meaning full of it. and how the writer appeals it to us. and the effect of this experience in opening tools of flag statement.

Research Purpose:

This research purpose to identify new statement tools. and shows the effect of the term in revealing of indication its thoughts. and showing the experience of Al-Sakran term and shows the effect of it to the meaning.

Research Methodology:

This research shows the Inductive method that stand on the terms with the descriptive method that analysis these terms and shows what it complicate of.

The Important Resolves:

Indicate that the flag of statement is wide open to all subjects. and through the Al-Sakran experience has some methods which are renewal. enrichment. and others.

The Most Important Recommendation:

Those researcher have main effort in showing new terms. and sharing their experience with others. also translating the others terms.

Opening Words:

Flag Of Statement. Tools Of Statement. Technical Terminology.

المقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد

فإن علم البيان من أشـرف علوم البلاغة العربية، وله حضـوره الواسـع في النصـوص الأدبية، وذلك لما له من إسـهام ظاهر في رونق المعنى وجلائه، وقد حصـر المتقدمون فنون البيان في التشبيه والمجاز والكناية، ولكل أقسامه وتفصيلاته وجماله وأثره.

ولكن: هل ثم وسـائل وفنون أخرى للبيان؟ أم يجب الوقوف على ما رآه الأوائل؟ والتوسـع يكون في الأقسام والتفريعات دون رؤوس الأدوات؟ هذه الأسئلة تجعلنا نعود إلى النصوص القديمة والحديثة لنستقرئ أدوات البيان التي أنارت المعنى وكشفت المغزى: أكان منشؤها من الأدوات التراثية (التشبيه، المجاز، الكناية) أم تراحبت الأدوات واتسعت؟ وهل نجد من كلام المتقدمين من أشار إلى ذلك الاتساع؟

في هذا المضـمار تدورُ أبحاث هذه الدراسـة وتحديدا دراسـة المصـطلح البياني عند الكاتب إبراهيم السـكران، الذي امتازت كتابته بوفرة المصـطلحات البيانية، وهذه المصـطلحات تسـتحق الدراسـة وتجلية الدلالة ثم النظر عما كشـفت عنه من الدلالة التي يرومها الكاتب ويسعى للبيان عنها.

موضوع البحث: يتلخص البحث في دراسة المصطلحات البيانية التي ابتكرها الكاتب إبراهيم السـكران وبيان العناصـر التي كونت هذه المصـطلحات وأثرها على بيان المعنى الذي رامه الكاتب، من خلال تتبع هذه المصطلحات في كتبه حسب تدرجاتها تاريخيا.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في وجود أدوات بيانية تسهم في الكشف عن المعنى ولم تعن بدراسة

وافية، ومنها البيان بالاصطلاح الذي له حضور واسع في مؤلفات إبراهيم السكران، فهل لهذه المصطلحات أثر في تجلية الدلالات المعنوية؟ وهل تعتبر طريقا جديدا من طرق البيان؟

أهمية البحث وسبب اختياره:

١ - أهمية الكشف عن أدوات البيان الجديدة.

٢ - عدم وجود بحث مستقل درس ظاهرة البيان بالاصطلاح.

٣- إبراز تجربة إبراهيم السكران المتميزة في البيان الاصطلاحي.

أهداف البحث:

١ - الكشف عن أدوات بيانية جديدة.

٢ - بيان أثر الاصطلاح في الكشف عن الدلالة وبيان الفكرة.

٣- إبراز تجربة السكران الاصطلاحية وإظهار مدى جدواها في بيان المعنى.

٤ - فتح الباب للتجديد المصطلحي لاسيما للأفكار الوافدة واستبدال المصطلح العربي بالمصطلح الأجنبي.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة البحث أن أسلك المنهج الاستقرائي القائم على تتبع المصطلحات وإبرازها، مع الاستعانة بالمنهج الوصفي لتحليل هذه المصطلحات وبيان ما تتركب منه.

حدود البحث:

يتناول البحث المصطلحات التي ابتكرها الكاتب السكران في كتبه والتي أسهمت في بيان أفكاره وتجليه معانيه من خلال تتبعها التاريخي.

إجراءات البحث:

١- حصرت كتب إبراهيم السكران المطبوعة.

٢- رتبتها حسب تاريخ صدورها.

٣- استخرجت المصطلحات البيانية في كل كتاب.

٤- بينت دلالة مصطلحات الكاتب مع ربطه بسياق وأثره على بيان المعنى وجلائه.

٥- درست التركيب الصرفي للمصطلحات وعلاقته بالدلالة.

٦- ربطت بين المصطلحات المتشابهة لاسيما في الصياغة والدلالة.

٧- ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها مع ذكر أهم التوصيات.

٨- ذيلت البحث بفهارس للمصادر والمراجع والموضوعات.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقراء والسؤال لم أعثر على من أفرد هذا الموضوع بالدراسة في كتاب مستقل، وإن كان يوجد في كتب التراث إشارات نفيسة تخدم موضوع البحث في الاصطلاح

الجديد في الدراسة:

١- فتح آفاق جديدة للبحث في أدوات البيان الذي تتراحب وسائله ولا تقف على ما أبدعه المتقدمون.

٢- إبراز أداة بيانية جديرة بالعناية وهي البيان بالاصطلاح الذي لم أجد من خلال اطلاعي من أفرده بالدراسة والبيان، ولعل في الجهد المتواضع فتح لآفاق الدراسة المصطلحية البيانية.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد، ثم دراسة المصطلحات ثم خاتمة وفهارس.

المقدمة تشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه وخطة البحث ومنهج البحث وحدوده وإجراءاته والدراسات السابقة والجديد في الدراسة.

التمهيد: بيان أن علم البيان لايقف على الأدوات التراثية التي ذكرها القدماء، ثم جاء الحديث عن عنصرين: الأول: مفهوم المصطلح الفني.

الثاني: التعريف بالأستاذ إبراهيم السكران.

ثم درست المصطلحات الفنية الواردة في كتبه حسب التسلسل التاريخي:

أولا: المصطلحات الفنية في كتاب: (الطريق إلى القرآن).

ثانيا: المصطلحات الفنية في كتاب: (التأويل الحداثي للتراث).

ثالثا: المصطلحات الفنية في كتاب: (مسلكيات).

رابعا: المصطلحات الفنية في كتاب: (الماجريات).

خامسا: المصطلحات الفنية في كتاب: (رقائق القرآن).

الخاتمة والفهارس.

تمهيـــد:

يعد علم البيان أحد أركان البلاغة الثلاثة (البيان والمعاني والبديع) ويعرف بأنه إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة[1]، ثم حصرت هذه الطرق في ثلاثة: التشبيه –المجاز –الكناية، إلا أن بعض العلماء لا يرى حصره في هذه الطرق منطلقين من عموم مفهوم البيان في اللغة، إذ معناه الظهور والوضوح والإفصاح، وما تبين به الشيء من الدلالة وغيرها[2]، وقد وردت كلمة بيان في القرآن الكريم بهذا المعنى، قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٨ وقال: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ القيامة: ١٩

يقول الجاحظ مؤكداً اتساع مفهوم البيان: "والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع (المعنى) وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن **أي جنس كان الدليل**" [3].

وبهذا يتضح مفهوم البيان وأنه غير محصور في فنون معينة، إنما هو اسم جامع لما يوصل إلى المعنى، وإن كان الجاحظ لم يدرك التقسيم الاصطلاحي للبيان إلا أن كلامه مؤكد

---

(١) انظر: مفتاح العلوم للسكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م: ٣٢٩ وانظر: التعريفات للجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م: ١٥٦

(٢) الصحاح للجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م، ٥/ ٢٠٨٣ وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية، ٣٤/ ٣٠٤

(٣) البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق وشرح الشيخ عبدالسلام هارون، دار الجيل، ١/ ٧٦

لتراحب هذا المفهوم واتساعه، ويعلل الجاحظ لهذا المفهوم المتسع فيقول: " لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع " (١).

ورأي الجاحظ هذا جدير بالعناية والدراسة؛ لأنه يحفز على استخراج الأدوات التي تساعد على إبانة المعنى وكشف قناعه وهتك الحجاب عنه، وهذه الأدوات تتراحب ولا تنحصر، كما أنها تضع علم البيان في نصابه بثراء موضوعاته واتساع حضوره في نصوص الوحيين، ونصوص الأدب شعراً أو نثراً.

ولهذا جاءت هذه الدراسة كاشفة عن فكرة بيانية، داخلة في الإطار العام لمفهوم البيان، وهي البيان بالاصطلاح الفني، وهي دراسة خصصتها للنظر في المصطلحات الفنية التي جاءت في مؤلفات الأستاذ إبراهيم بن عمر السكران الذي رأيت في كتاباته حضورا بارزاً للبيان بالاصطلاح الفني.

وهذه الدراسة تدور حول عدة تساؤلات منها:

أولا: ما المقصود بالاصطلاح الفني؟

ثانيا: هل يمكن أن يؤدي الاصطلاح الفني دوراً بيانيًا؟

ثالثا: ما أبرز المصطلحات الفنية التي استثمرها الأستاذ إبراهيم السكران في الإبانة عن أفكاره ومعانيه؟

(١) السابق، نفس الصفحة

رابعا: كيف بنى الأستاذ السكران مصطلحاته؟

خامسا: ما أثر هذه الاصطلاحات على إبانة المعاني؟

سادسا: هل يمكن لهذا المشروع البياني أن يخدم الدراسات البيانية والمصطلحية على حد سواء؟

وقبل أن ندلف إلى موضوعنا نقف عند بعض التمهيدات:

أولاً: مفهوم المصطلح الفني.

ثانياً: التعريف بالأستاذ إبراهيم السكران وأبرز كتبه.

أولاً: مفهوم المصطلح الفني

المصطلح مأخوذ من الفعل (صَلُحَ) وهو يدل على إصلاح الشيء وصلوحه بمعنى أنه مناسب ونافع[1]، قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): "الصلح تصالح القوم بينهم، والصلح السلم" [2] قال الفراء: "وحكى أصحابنا صلُح أيضا بالضم، وهذا الشيء يصلُح لك، أي هو من بابتك" [3] إذا فـ(الاصطلاح) مبني على الاتفاق واجتماع الرأي، ولهذا عرفه الجرجاني بأنه اتفاق قوم على تسمية شيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر المناسبة بينهما[4]، ويختصر الزبيدي المقصود بالمصطلح فيقول:

(١) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة: ١/ ٥٢٠

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة (ص ل ح) دار صادر- بيروت ٢/ ٥١٧

(٣) انظر: الصحاح للجوهري مادة (ص ل ح) ١/ ٣٨٣

(٤) التعريفات للجرجاني: ٢٨

"اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص" [1] وتحديده بـــ(طائفة مخصوصة) ينفي اجتماع الناس على معنى معين لمصــطلح واحد، بل ربما يكون لكل بلد مصــطلحات تخصهم وربما تشارك الناس في بعض المصطلحات.

أما كلمة (الفني) فهي مأخوذة من الفن الذي هو في لغة العرب: الضــرب واللون من الشــيء، والجمع أفنان وفنون، وقولهم فنن الناس جعلهم فنوعا أي أنواعـًا[2]، ويطلق على الثوب إذا جعل فيه طرائق ليســت من جنســه أي ألوانـًا تخالف اللون الســائد[3]، ويقال: افتن الرجل في أحاديثه: جاء بالأفانين وأخذ في فنون القول فتوسع وتصرف[4]، ويطلق الفن على الغصن من الشعر والخصلة من الشعر؛ لأنهما استخلصت من بقية الأجزاء، فصار ذلك مميزا لها عن غيرها[5]، ويطلق الفنان على الحمار الوحشــي الذي له فنون من العدو.. ورجل مِفَن: الذي

(١) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، مادة (ص ل ح) ٦/ ٥٥١

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة، المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ١٠/ ٤٦٢

(٣) انظر: المعجم العربي لأسماء الملابس «في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث» د.رجب عبدالجواد إبراهيم، راجع المادة المغربية: أ. د/ عبد الهادي التازي (عضو الأكاديمية المغربية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة) الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة - جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: ٣٦٤

(٤) انظر: لسان العرب ١٣/ ٣٢٦

(٥) السابق: ١٣/ ٣٢٧

يأتي بالعجائب[1].

ويظهر مما سبق أن الفن عند العرب يطلق على ما يخرج عن المألوف، ويكون هذا الخروج غالبا أمرا مستحسنا يختص به، ويجمع العقاد معاني الفن في أصل اللغة ليصل إلى العلاقة بين هذه المعاني وبين الإطلاق الحديث لمصطلح الفن على الشاعر والأديب، يقول: "إن الفن في أصل اللغة هو الخط واللون، ومنه التفنين بمعنى التزيين والتزويق، والأفانين بمعنى الفروع أو الضروب، وهكذا كل ما تعدد فيه الأشكال والأصواف مما ينظر بالأعين أو يدرك بالأفكار" [2] ومما يدرك بالأفكار العلم، فإن له أضربا تسمى فنونا.

ثم يصل العقاد بعد ذلك إلى الإطلاق الحديث لمصطلح الفن على الأديب والشاعر فيقول: "واستعمال كلمة الفني دلالة على المصور والشاعر والمنشد لم يرد بهذا المعنى في كلام عربي قبل العصر الحديث، ولا خطأ، ولا تجوّز في استعمال (الفنان) لمعناها الحديث؛ لأنها صحيحة في القياس" [3].

ثانيا: تعريف بالأستاذ إبراهيم السكران:

إبراهيم بن عمر السكران، كاتب سعودي، يحمل درجة بكالوريوس في الشريعة، ودرجة الماجستير في السياسة الشرعية، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض، وكذلك يحمل درجة الماجستير في القانون التجاري الدولي، من جامعة إسكس –

(١) انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ، رتبه على حروف المعجم د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م ، ٣/ ٣٤٢-٣٤٣، وانظر : الصحاح: ٦/ ٢١٧٧

(٢) ساعات بين الكتب للعقاد ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، : ٣٤٠

(٣) السابق: ٣٣٩- ٣٤٠

بريطانيا[١].

وهو كاتب شرعي واجتماعي له إسهامات علمية بارزة من أشهرها:

كتاب (**مسلكيات**) يتحدث عن مسلكي العلم والإيمان[٢]، وله كتاب (**رقائق القرآن**)[٣] يتحدث عن مواعظ قرآنية مؤثرة، وله كتاب (**الطريق إلى القرآن**)[٤]، عن أحوال بعض الصالحين قديما وحديثا مع القرآن، ومن كتبه الشهيرة (**الماجريات**)[٥] استعرض فيه أحوال الناس مع مجريات الأحداث حولهم، وضرب أمثلة من المفكرين والسياسيين، وكيف تعاملوا مع الأحداث التي عاصروها.

وله اهتمام واسع بدراسات المستشرقين وهو منثور في كتبه، وقد خصص لهذا كتابه (**التأويل الحداثي للتراث**)[٦] الذي استعرض فيه نظر المستشرقين إلى التراث، الذين درسوا التراث الإسلامي دراسة متأنية ليدخلوا منه على المسلمين فيقللوا من قيمته، لعلمهم أنه من أعظم مصادر قوتهم.

عاش الأستاذ إبراهيم في بيئة متدينة فظهر هذا جليا على حياته وتوجهه، إذ طلب العلم في سن مبكرة وقرأ كثيرا من الكتب التي هي من مصادر العلم الشرعي وعلى رأسها كتب شيخ الإسلام وابن القيم، فهو يستدل بهما كثيرا، ولا يخلو كتاب من ذكرهما، كما تأثر إبراهيم

(١) ذكر هذا عن نفسه في حسابه بموقع التواصل الاجتماعي (تويتر)

(٢) من مطبوعات دار الحضارة بالرياض.

(٣) من مطبوعات دار الحضارة بالرياض.

(٤) من مطبوعات مركز الفكر المعاصر بالرياض.

(٥) من مطبوعات دار الحضارة بالرياض.

(٦) من مطبوعات دار الحضارة بالرياض.

السكران بعلماء الحديث من علماء القرن الخامس الهجري وما بعده كالنووي والذهبي وابن حجر وغيرهم.

وله اطلاع واسع على علم السير وتراجم الرجال، ولذا تراه كثيرا يقف على لمحة من حياة أحد الرجال، أو قول من أقواله فيطيل الوقوف عنده ليستخلص منه الحكمة والفائدة.

ولإبراهيم السكران أسلوب مميز ظهر من خلال مقالاته الكثيرة التي وجهها إلى الشباب، بل إن كثيرا من كتبه كان أصلها مقالات، ثم جمعها تحت موضوع واحد، هذا الأسلوب الكتابي الذي ظهر في كتب إبراهيم السكران يمتاز بالقوة وظهور الحجة والاستنباط الدقيق من نصوص الوحيين والتراث، وهذا يدل على أثر المكون الثقافي في صياغة هذه المصطلحات.

كما امتاز أسلوبه بكثرة المصطلحات المبتكرة، التي توصّل إليها من خلال طول المعايشة وكثرة الملابسة للقضية التي يعالجها، وهذه المصطلحات ظاهرة لغوية جديرة بالدراسة؛ لأن لها أبعادا دلالية وصبغة بيانية، جاء هذه البحث كاشفا عنها ومبينا أثرها.

ويمتاز أسلوبه بالسهولة والامتناع، إذ لا يعسر على القارئ فهمه؛ لأنه اعتنى بسلوك أيسر السبل، وهو ممتنع؛ لأنه بذل في كتبه جهداً عاليا ونفساً عميقا حملاه على طرق أبكار المعاني واستنباط لطائف الدلائل، وتتجلى في أسلوبه لغة الحوار بين الكاتب والقارئ، وهذا الحوار يبعث الهمة ويجدد النشاط، وينفذ بالفكرة إلى النفس.

أبرز المصطلحات ودلالاتها:

مدخل: تمتاز كتب إبراهيم السكران بطرح الأفكار الجديدة التي لها اتصال بالقضايا المتداولة قديما وحديثا، ونظرا لهذه الأفكار المستحدثة نشأت كثير من الاصطلاحات التي

ارتآها السكران معبرة عن فكرته التي يعرضها.

ولهذه المصطلحات دلالات عَمِد إليها الكاتب ربما صرح بها أو كانت مفهومة من السياق، وربما احتاجت إلى نظر وتأتي؛ لأنها تتجاوز المحيط السطحي إلى دلالات أعمق، ولهذا سأقف مع هذه المصطلحات عرضا ودلالة، وسأرتبها تاريخيا لأرصد التطور المصطلحي عند السكران، وأبرز ملامح النمو والتطور عنده.

أولاً: المصطلحات الفنية في كتاب (الطريق إلى القرآن) ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م:

أراد المؤلف في هذا الكتاب أن يمهد الطريق الذي يصل بالمسلم إلى كلام الله ﷻ، ذلك لما رأى تخبط بعض المسلمين حين سايروا أفكارا دخيلة كالاشتراكية والعلمانية.. وتركوا طريق القرآن الذي هو سبيل النجاة الأوحد، وقد جاء المؤلف بمصطلحات خدمت هذه الفكرة، نثرها في كتابه، سنعرض لها ولدلالاتها البيانية حسب ترتيبها في الكتاب.

المصطلحات الواردة في هذا الكتاب:

- القلوب الصخرية[1]: جاء بهذا المصطلح وصفا للقلوب القاسية، وقد أفاد هذا من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ البقرة: ٧٤، وإن لم يأخذه نصا، إنما وظّفه في قالب جديد استبدل فيه الصخر بالحجارة، وصاغ المصطلح على صورة المصدر الصناعي.

ونرى في هذا المصطلح أنه استعان بدلالة الجمع إشارة إلى انتشار هذا الداء الذي هو داء مجتمعي لا داء فردي، ولذا أشار أول حديثه عما يعضد هذه الدلالة المصطلحية فقال:

(١) انظر كتاب : الطريق إلى القرآن، مركز الفكر المعاصر، بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٣ه - ٢٠١٢م ص ٣٧

"ومن رزايا هذا الزمن أن صرنا لا نستحي من المناصحة عن قسوة القلب، بينما قلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة" (١).

ـعقاقير الرقائق(٢): وهو مصطلح قصد به الكاتب الخطابات الوعظية التي تذكر بالله والدار الآخرة، وتجد أن هذا المصطلح حوى تشبيها ضمنيا حيث شبه الخطاب الوعظي بالدواء، وهو كذلك لأنه يعالج داء الغفلة، إذا فهذا المصطلح كشف المغزى من الخطاب وأبان عنه في صورة مشوقة، بنيت على التركيب الإضافي، إذ أضاف (عقاقير) إلى الرقائق.

ومثله: **صيادلة الإيمان**(٣): إذ جاء بهذا المصطلح لبيان أثر الوعظ على الإيمان، وكأن الوعّاظ صيادلة يصرفون الدواء لمن يعاني نقصا في إيمانه، وقد أسهم هذا المصطلح كسابقه في إبراز الصورة المعنوية في قالب حسي، وإذا كان الصيدلي ينتقي الدواء الملائم لحال المريض، فكذلك الواعظ عليه أن يجعل جرعة الوعظ مناسبة لحالة المدعو حتى يكون له أثر.

و سيلية الدنيا – مركزية الآخرة(٤): وهما مصطلحان متقابلان ظاهرا المعنى، ركبا تركيبا إضافيا، والعلاقة الإضافية تجعل الجزأين (المضاف والمضاف إليه) في حكم اللفظ الواحد، ولو عَدَل الكاتب عن الاصطلاح إلى شرحه لتذبذب المعنى وخرج بصورة باهتة، ولك أن تقارن بين قوله: (وسيلية الدنيا) وبين قول: (الدنيا وسيلة إلى الآخرة) عندها ستجد أن المصطلح ساعد على إيجاز العبارة وتسليط الكلام على المعنى المراد.

---

(١) السابق: ٣٧

(٢) السابق: ٣٧

(٣) السابق: ٣٧

(٤) السابق: ٥٠

جوهر البرهان[1]: يلقي القرآن الكريم الضوء على معان عميقة ذات أثر على الإنسان الذي يباشر القرآن، وهذه المعاني هي جوهر القرآن مثل معرفة الله والإيمان بألوهيته وأسمائه وصفاته، وقد سيقت هذه المعاني العظيمة بلغة بيانية معجزة، والكاتب أراد من القارئ أن يُعنى بهذه المعاني الكبرى ولذا شبهها بالجوهر الثمين الذي يقدر قدره وتعرف مكانته

وقد اختار الكاتب السكران في المصطلح الأول كلمة (البرهان) مضافا إليه، و(جوهر) مضافا، والبرهان سُمي به القرآن قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ النساء: ١٧٤ وهذا الاسم ملائم لما جاء المصطلح مشيرا إليه، فـ(البرهان) لغة: الحجة[2]، والمصطلح جيء به للمعاني الكبرى التي تحمل دلالات الألوهية وعظمة الربوبية.

النفاق الفكري[3]: النفاق له نوعان: عقدي وعملي كما عند علماء العقائد والأديان[4]، ويضيف الكاتب السكران من خلال هذه المصطلح نوعا ثالثا يبرز فيه تلّون بعض المفكرين بحسب ما يحيط حوله من أشخاص وأحداث، فهو يداهن ما حوله ويخفي ما انعقد عليه قلبه، وهو بهذا يشابه المنافقين الذين قال القرآن فيهم: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ البقرة: ١٤.

وتظهر قوة المصطلح في ربطه الجديد بالقديم، فالنفاق في صورته القديمة شبيه بحال بعض المثقفين اليوم، إذ العلاقة ظاهرة كما أسلفت، وتجدر الإشارة إلى أن هذا المصطلح نسب

(١) السابق: ٥٣

(٢) انظر: الصحاح للجوهري، مادة (برهن) ٥/ ٢٠٧٨

(٣) انظر كتاب: الطريق إلى القرآن: ٥١

(٤) انظر: الرسالة المفيدة للإمام محمد بن عبدالوهاب، المحقق: محمد بن عبد العزيز المانع الناشر: رئاسة إدراة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد: ٤٦

النفاق إلى الفكر، الذي لا يدل بالضرورة على خروج من الدين كما هو حال المنافقين الأولين.

آحاد الذكر[1]: هذا المصطلح ذكره الكاتب السكران دون أن يجلي معناه إنما مر عليه سريعًا، ولذا أوقع القارئ في حيرة، ولم يكن لهذا المصطلح أن يسلك سبيل البيان إلا إذا اجتهد القارئ في تفسيره؛ لأن الكاتب ذكر أمثلة لهذا المصطلح ولم يجلِ حده ومفهومه، وعند التأمل في هذه الأمثلة (التسبيح والتحميد وافتتاح أوائل السور بالحمد..) تجد أنها من الأذكار التي ثبتت في الأحاديث النبوية أن تقال مقترنة ومفردة، مقترنة بغيرها، كالتسبيح ربما يرد مع التهليل والتكبير وربما يفرد وحده، ولهذا سماه الكاتب آحاد الذكر.

وهذا المصطلح (**آحاد الذكر**) نجد أنه غير مطابق تماما لما جاء بيانا له؛ لأنه ذكر صورة واحدة لهذه الأذكار وهي تأتي على صورتين، صورة مفردة وصورة مقترنة، ولو أبدل هذا المصطلح من (**آحاد الذكر**) إلى الأذكار المتنوعة ربما كان أبين للمراد وأنسب لطبيعة الذكر.

ثانيا: المصطلحات الفنية في كتاب: (التأويل الحداثي للتراث.. التقنيات والاستمدادات) ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م:

تمهيد: يتحدث في هذا الكتاب عن لغة جديدة في قراءة التراث الإسلامي والعربي، تستمد هذه القراءة أدواتها من المكتبة الحداثية العربية وغير العربية، وغالبا ما تتناول هذه القراءة كتب التاريخ الإسلامي بغرض تفسيره بمفاهيم غربية ليكون بوابة للنيل منه وتشويه

(١) انظر كتابه: الطريق إلى القرآن: ١٠٧

رموزه[1].

ومن المصطلحات الفنية التي جاءت في هذا الكتاب:

لغة جنائزية[2]: يعني بها لغة الحسرة والتأسف على الواقع، وذكر هذا المصطلح وصفا لكلام (**أركون**)[3] الذي يتأسف على حال المسلمين لأنهم لم يستفيدوا من علم المستشرقين[4].

وهذا المصطلح (**لغة جنائزية**) ينقل لك بإيجاز كل ما يندرج تحت لغة المصائب والكوارث، وهو يشير من طرف خفي أن متعاطي مثل هذه الكلمات عاجز عن فعل أي شيء كمن أحاطت به مصيبة الموت، فهو منشغل بها، لاه عما عداها.

وقد بُنى هذا المصطلح على تركيب وصفي، إذ وصفت اللغة بأنها جنائزية، وأطلق الكلام في الجزء الأول (لغة) فترقب المتلقي قيدا فجاء الجزء الثاني (جنائزية)، وصاغ الصفة على سبيل المصدر الصناعي، جمعا لا مفردا، كأنه إشارة إلى ذيوع هذا النوع من اللغة.

وقد اشتهرت هذه الصياغة كثيرا عند الأستاذ السكران وغيره، وهذا الضرب من المصدر ملائم للمصطلحات، ذلك أنه يحمل معاني أوسع من الاسم الذي اشتق منه[5]، فلفظ

(١) انظر كتابه: التأويل الحداثي للتراث، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م :٧

(٢) انظر السابق: ٩٠

(٣) محمد أركون مفكر وباحث ومؤرخ من أصل جزائري (ت ٢٠١٠م)، انظر: إسلام المجددين لحمزة محمّد، دار الطليعة للطباعة والنشر - رابطة العقلانيّين العرب، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى.

(٤) قضايا في نقد العقل الديني لأركون، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، ص ٥٤

(٥) انظر: النحو الوافي لعباس حسن، دار المعارف الطبعة الخامسة عشرة: ٣/ ١٨٦ - ١٨٧

(الجنازة) محصـــور الدلالة، مقتصـــر على الجنازة ذاتها، أما (الجنائزية) فإنها تحمل معاني جديدة من العجز والخمود والقعود، وهذه المعاني ملائمة للغة التي اســتخدمها (أركون) في وصفه حال المسلمين.

وهذه الإبانات المعنوية ساعد على ظهورها المصدر الصناعي، كما أن هذا المصطلح ينقل لنا مراد (**أركون**) حين أراد أن يجعل المســلمين دمية تحركها التيارات الغربية وتتحكم بها كما يتحكم حامل الجنازة بها.

حنابلة المسيحية: هذا المصطلح جعله الأستاذ السكران مقابلا لمصطلح (**حزقيال البيت الأموي**)[1] الذي أطلقه (**جولد تسيهر**)[2] على التابعي الجليل عمر بن عبدالعزيز رحمه الله.

إذا فظاهرة التقابل من دوافع نشـــوء بعض المصـــطلحات عند الكاتب الســـكران، إذا يقابل مصطلحا بمصطلح؛ ليكشف معنى من وراء ذلك، وفي هذا المصطلح (**حنابلة المسيحية**) أراد أن يبين تلاعب المســتشــرقين بالرموز الإســلامية من خلال تشــبيهها ببعض المشــاهير عندهم.

ومن جهة أخرى أراد الكاتب الســكران بيان بُعد هذه المصـــطلحات عن وجه الحقيقة وأن

---

(١) انظر: التأويل الحداثي: ١٠٤ و(حز قيال) قيل أنه كاتب أحد نصوص (الكتاب المقدس) وإليه ينسب سفر (سفر حزقيال) ، ولم أعثر على نقل محكم سوى ماوجدته في الموسوعة العالمية (**wikipedia.org**).

(٢) مستشرق مجري موسوي تعلم فى بودابست وبرلين ورحل إلى سوريا كما انتقل إلى فلسطين ومصر ولازم بعض علماء الأزهر عين أستاذا فى جامعة بودابست وتوفى بها وله تصانيف كثيرة في الفقه الإسلامي باللغات الأجنبية انظر: الأعلام للزركلي، الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م ١/ ٨٤

فيها تعسفا وسطحية، يقول: "ولتقريب سطحية هذه النماذج للقارئ فإنها مثل من يدرس التاريخ الغربي النصراني ويبحث عن التيارات المحافظة ويسميهم حنابلة المسيحيين، أو مثل من يسمي من يتمسك بظواهر نصوص الإنجيل المدرسة الحزمية النصرانية" (١).

والحنابلة نسبة للإمام أحمد بن حنبل صاحب المذهب الفقهي، ويوصم المذهب بأن فيه شيئا من التشدد، وهذا إطلاق غير صحيح فإن المذهب ربما اختار أيسر الأقوال(٢)، وعلى أية حال فإن الكاتب ساير أصحاب هذا القول لإثبات بطلان مثل هذه المصطلحات التي يقذفها المستشرقون على تراثنا.

أما المدرسة الحزمية فإنها نسبة إلى (ابن حزم) الإمام الذي يُنسب للمذهب الظاهري، ويتسم مذهبه بالاستمساك بظواهر النصوص دون النظر إلى الدلالات الأخرى التي تفهم من السياق أو من خلال النظر في مجموع النصوص(٣).

إذا فالقضية مختلفة بين الموروث (النصراني) والمورث (الإسلامي) فالأول قد لعبت به عقول البشر فغيرت وبدلت، والثاني ينطلق من الدليل يحلل ويستنبط، وقياس هذا على هذا ووضع المصطلحات لا يغير من الواقع شيئاً، بل ربما يلبس على الباحثين والمطلعين.

(١) التأويل الحداثي: ١٠٥

(٢) كما في كثير من المسائل كجواز المسح على العمامة والتوسع في النظر للمخطوبة وغير ذلك.. انظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١/ ١٨٧

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م ، ١٨/ ١٨٦

توفيد العلوم[1]: هذا المصطلح ذكره الكاتب كثيرا، والتوفيد مأخوذ من (وفد) وهو في اللغة إرسال الشيء، فالذي يرسله الأمير يسمى (وافدا)، و(أوفده) الأمير أي أرسله[2].

ويقصد به صنيع المستشرقين مع التراث الإسلامي، إذ أوفدوها إلى ثقافات سابقة ليسلبوا من المسلمين كل فضيلة[3].

وقد بُني هذا المصطلح على التركيب الإضافي، واختار وزن (تفعيل) مصدرا للفعل (وَفَد) وفي هذا المصطلح تشخيص بياني، إذ جعل إرجاع المستشرقين لمحاسن التراث إلى بعض الحضارات المتقدمة جعله بمثابة الوفد الذي يرسله الأمير أو الذي يستقبله، وهذا ربط حسن وتفنن في ميدان الدلالة وتوسيع لها.

والوفد فيه معنى الإكرام والتشريف، ولذا يطلق على ضيوف الكبراء والأمراء وفود[4]، وقد أطلق الله سبحانه على أهل الجنة: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ مريم: ٨٥ وهذا المصطلح يكشف مكر المستشرقين فهم يظهرون أن عملية إرجاع المحاسن إلى الحضارات المتقدمة إنما هو إكرام التراث الإسلامي وإعزاز له، والواقع ضد ذلك؛ لأنه ينفي عن التراث العظيم كل مظاهر التميز بطريقة مباشرة، ويظهر التراث في حالة ضعف وتأخر واعتماد على أفكار الآخرين وتجاربهم وكتبهم.

ولم يكن هذا التوفيد مقتصرا على لون دون لون، بل هو عام شامل لأكثر علوم المسلمين،

(١) التأويل الحداثي: ١٣٣

(٢) انظر: الجوهري، الصحاح ٢/ ٥٥٣، ولسان العرب ٣/ ٤٦٤- ٤٦٥

(٣) انظر: التأويل الحداثي: ١٣٣

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن للإمام السعدي، تحقيق د.عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة: ٥٠٠

فنجد توفيدا في علوم الشـريعة والتاريخ والفكر والثقافة، وقد جاء المصـطلح مبينا عن هذا الشمول حين أضيف التوفيد إلى الجمع (العلوم).

الا ستدماج: دمج الشـيء دموجا، إذا دخل في الشـيء واسـتحكم فيه، وكذلك اندمج وادمج بتشـديد الدال[١]، قال أبو عبيد[٢]: كل هذا إذا دخل في الشـيء واسـتتر فيه[٣]، وقد اسـتعمله الكاتب السكران وصفا لعمل ابن سينا[٤] ونحوه الذين دمجوا بعض علم أهل الكتاب وعلم فارس والروم في علم المسـلمين ودينهم وهم لا يشـعرون، يقول الكاتب: "رصـد أئمة أهل السنة للإلهيات الوافدة من الفلسفة اليونانية وغيرها، والتي استدمجها أمثال ابن سينا ونحوه من الفلاسفة" [٥].

وهذا المصـطلح بُني على صـيغة (اسـتفعل) التي لها معان أشـهرها الطلب، وهي هنا جاءت لمعنى آخر، إذ أراد الكاتـب أن يبين من خلال هذا الاصـطلاح المتكلف الذي وقع فيه من يريد دمج العلوم الإسـلامية بغيرها من علوم الأمم الأخرى، وصـيغة (اسـتفعل) تأتي أحيانـًا

(١) الصحاح: ١/ ١٣٥ وانظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م ١/ ١٨٩

(٢) الإمام، الحافظ، المجتهد، ذو الفنون، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله له مصنفات في القراءات وغريب اللغة، انظر سير أعلام النبلاء: ١٠ / ٤٩٠

(٣) الصحاح: ١/ ١٣٥

(٤) العلامة الشهير، الفيلسوف، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي، ثم البخاري، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق.. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء١٧/ ١٣٥

(٥) التأويل الحداثي: ١٦٤ وصفحة: ٣٥١

لمعنى التكلف، قال ابن فارس[1]: "وأما استفعل فيكون بمعنى التكلف، نحو تعظّم واستعظم، وتكبر واستكبر" [2].

وعليه فلا ينبغي حصر دلالة (استفعل) ونحوها على معنى الاستقبال، كما أن هذا المعنى – الذي هو التكلف – من صيغة (استفعل) يفتح بابا من أبواب الثراء المصطلحي، كما رأينا هنا في (الاستدماج).

مثقفو البلاط[3]: ذكر هذا المصطلح في سياق عرضه للمآخذ على العلماء الأولين، ومن جملة هذه المآخذ أنهم (أي العلماء) يسعون في إرضاء الحاكم ويَدْعون الناس إلى السمع والطاعة له، وأنهم من أرباب القصور ومن أهل مجلسه، وهذا ما يعنيه بهذا المصطلح.

والمصطلح يتناص مع ما اشتهر في كتب الأدب (**شعراء البلاط**)[4] ويعنون بهم الشعراء والكبار الذين يجالسون الخليفة ويحب أن يسمع منهم، وتتردد أسماؤهم في أكابر أدباء تلك الدولة.. ومن هؤلاء جرير والفرزدق والأخطل في عهد بني أمية، ولهؤلاء الشعراء حظوتهم عند الخليفة كما للعلماء والمثقفين.

---

(١) الإمام، العلامة، اللغوي، المحدث، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي، نزيل همذان، وصاحب كتاب (المجمل.. انظر: سير أعلام النبلاء: ١٧/ ١٠٣

(٢) انظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس ، الناشر: محمد علي بيضون الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م : ١٧٠

(٣) التأويل الحداثي: ٢٠٦

(٤) وهذا من المصطلحات التي راجت حديثا ، وقد ذكرها الزركلي في الأعلام وعمر كحالة في معجم المؤلفين وغيرهم.

وقد أخذ هذا المصطلح دلالة النسبة، حيث أكد انتساب هؤلاء المثقفين إلى البلاط، وقام هذا التركيب الإضافي مقام النسبة بالياء، كأنه قيل: هذا المثقف بلاطي.

وهذا المصطلح في غاية البيان للدلالة على ملازمة السلطان، إذ صوّر هذه الملازمة بملازمة البلاط للقصر، على سبيل كناية النسبة، وهذا البلاط ليس في بقعة دون أخرى بل هو شامل لكل أرجاء القصر كما أن صيت هذا العالم وشأنه في هذا القصر لازم لا ينفك في كل وقت.

تنازع الرؤوس[1]: جاء الكاتب بهذا المصطلح وصفا لحال المستشرقين الكبار الذين اختلفت تأويلاتهم للتراث الإسلامي، وجاء هذا المصطلح مركبا من كلمتين، الأولى (**تنازع**) مأخوذة من الفعل (**نزع**) الذي تدور مادته على الشدة والقوة، وترادفه لفظة (قلع) في كثير من التراكيب، ومن إطلاقات هذا الفعل قول العرب: نزع المريض أي أشرف على الموت، ونزع الشمس أي دنت من الغروب، ونزع الشيء من مكانه نزعًا: جذبه وقلعه، ويقال: نزع الأمير عامله عن عمله: عزله[2].

إذا تأملت هذه الاستعمالات للفعل (نزع) تجد أنها قائمة غالبا على الشدة والقوة أو العظم والاتساع، ولذا اختاره الكاتب لإبانته عن الجدل الشديد القائم بين هؤلاء المستشرقين، كل يريد أن ينتزع الحق إليه، ثم إن إضافة هذا اللفظ إلى الرؤوس أعطت قوة في دلالة النزع؛ لأنها تعني أن الخصومة بين المستشرقين بلغت من شدتها أن أشبهت من ينزع رأسا عن جسد.

ويظهر أنه أفاد هذا المصطلح من قوله تعالى: ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴾ الطور:

(١) التأويل الحداثي: ٣٩٣

(٢) انظر لسان العرب ٨/ ٣٤٩ المعجم الوسيط: ٢/ ٩١٣

٢٣ وهذا وصف لأهل الجنة وهم يتنازعون كؤوس الخمر، أي يعطي بعضهم بعضا كما قال المفسرون[١]، وهذا النقل المصطلحي يدل على تأثر الكاتب بألفاظ القرآن وإمكانية الإفادة منها، ونقل دلالتها من سياقها الخاص إلى سياق آخر، واستخلاص المصطلح منها.

لبرلة التكفير المعتزلي[٢]: يحاول بعض المستشرقين أن يقارب بين التراث الإسلامي على اختلاف اتجاهاته وبين التراث الغربي، ومن ذلك محاولتهم التقريب بين (الليبرالية) التي هي قائمة -كما يزعمون- على التسامح والحرية وقبول المخالف والرأي الآخر[٣]، وبين (المعتزلة) الذين يقوم معتقدهم على العقل والتكفير ونبذ المخالف[٤]، ونظرا لهذه المحاولات التقريبية جاء الكاتب بهذا المصطلح (لبرلة التفكير المعتزلي).

وقد صاغ الكاتب من (الليبرالية) مصدرا على وزن (فعللة) ثم أسند هذا المصدر إلى التكفير ولم يسنده إلى المعتزلة مباشرة، فدل المصدر (لبرلة) على التحويل إلى الليبرالية، وأبان إسناده إلى التكفير على استحالة ذلك، وأن محاولة ذلك فيه تعسف وتكلف؛ لأن طبيعة المعتزلة قائمة على التكفير كما بينه المصطلح، وطبيعة الليبرالية قائمة على التعددية

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ ٧/ ٤٠٤

(٢) التأويل الحداثي: ٣٩٧

(٣) انظر: الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان لشحاتة محمد صقر ، الناشر: دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي : ٩٠

(٤) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لأبي الحسين العمراني، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ١/ ١١٠

في الرأي وقبول المخالف كما مر.

إذا (التكفير) أساس في بناء المصطلح ولا يمكن الاستغناء عنها؛ لأنها تُبين عن المفارقة الكبيرة بين فكرتي (الليبرالية) و(الاعتزال)، وهذا يلمح من جانب آخر أن المصطلح ربما يضاف إليه ما هو من صميم دلالته، وإن ظهر بادئ الأمر أنه حشو، فلو قيل: (لبرلة الاعتزال) لكان المصطلح مع اختصاره غير مستوفي الدلالة، ولذا فإضافة (التكفير) جعلت المعنى منصبا على هذه المفارقة التي وقع فيها المستشرقون حين جمعوا بين منهج قائم على التعددية الفكرية، ومذهب يقف في المقابل ويستسهل التكفير.

ثالثا: المصطلحات الفنية في كتاب: (رقائق القرآن) ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م:

يدرس المؤلف في هذا الكتاب الآيات الوعظية التي تخاطب القلب وتبعث فيه حياة الإيمان بالله سبحانه والمغيبات الأخرى، ومن أشهر المصطلحات:

دوامة التكاثر[١]: لما تحدث المؤلف عن حال الناس تجاه الدنيا وانغماسهم في أوديتها جاء بهذا المصطلح ليبين وجها لا يكاد يغيب عن مجتمع إنه التكاثر، يقول المؤلف: "كلما رأيت نفسي في غفلة وكلما رأيت نفسي قد ذهلت عن الحقائق الكبرى أخذت أردد: فتش عن (دوامة التكاثر)" [٢] وأمر التكاثر معلوم إذ جبل الإنسان على زيادة أرصدته وتضاعفها، لكن ما شأن الدوامة؟ لها عدة معاني متصلة بهذا المصطلح، قيل إنها لعبة مستديرة يلفها الصبي بخيط ثم يرميها على الأرض فتدور[٣]، وهي على هذه المشاكلة تذهب وتعود، وهذا

(١) رقائق القرآن، دار الحضارة للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م : ٢٣

(٢) السابق

(٣) المعجم الوسيط: ٣٠٥

حال متكاثر الدنيا فإن المال ما إن ينتقل عنه حتى يميل عائدا إليك.

وقيل إن الدوامة لها اتصال بالبحر أو النهر، تأمل هيجانهما، وانظر إلى الأمواج وهي تدور بسرعة وشدة، أعلاها متسع وأسفلها ضيق[1]، فالدوامة في دورانها تشاكل الدنيا التي تعود بصاحبها ليتكاثر وليضع الدرهم على الدرهم، فهو يدور كالدوامة لا يقر له قرار، ويغلب على الدوامة-كما تُرى- أن يطول أمدها وهي مثيرة لما تأتي عليه من أتربة وعوالق، فإنها ليست خاصة بالبحر بل ربما جاءت على اليابسة، وكذلك الدنيا من ذاق عسيلتها وطالب له ثمرها فإنه لا يزال غارقا في لجج التكاثر وجمع الدنيا.

أبدية الحياة الآخرة – تأقيت الحياة الدنيا[2]:

سبق الحديث عن مصطلحين مشابهين لهما (وسيلة الدنيا – مركزية الآخرة)[3] وهذان المصطلحان يعبران عن قضية محورية في كتاب الله ولهذا تكررت ولم يعد الكاتب المصطلحات نصا إنما أخرجها بقالب جديد يبين مدى تفننه في عرض الفكرة الواحدة بأكثر من المصطلح، وإن كان بناء المصطلح من كلمتين أوجز وأبلغ من بنائه من ثلاث كلمات.

عقيدة انتظار الموت[4]:

أورد الكاتب هذا المصطلح على لسان بعض التغريبيين الذين يتندرون بالخطاب الوعظي الذي لا يذكر إلا الموت – كما زعموا – ولذا أطلقوا عليه هذا الاصطلاح، ويمكن الاستغناء

(١) السابق.

(٢) رقائق القرآن: ٢٤

(٣) انظر في هذا البحث : ١٤

(٤) رقائق القرآن: ٢٧

عن العنصر الأول في المصطلح (عقيدة) ليبقى المصطلح أوجز وأبين للمراد، وفيما يبدو أن هذا العنصر مقصود لذاته، لا يستغنى عنه؛ لأنه يَبين عمن جاء المصطلح وصفا لهم وهم الذين صار من اعتقادهم انتظر الموت لكثرة حديثهم عنه.

ولا يظهر في هذا المصطلح أي ملمح بياني يمكن التعويل عليه إنما جاء مباشراً كاشفا عن مراده دون إيحاء أو توشية، وكما تقدم فإن الكاتب لم ينشئ هذا المصطلح إنما نقله من بعض المتغربين.

تنفس اليقين[1]:

جاء بهذا المصطلح في حديثه عن التوكل الذي لا يقوم ساقه إلا على اليقين، فلا يتصور وجود التوكل بلا يقين، ولذا من أراد أن يكون متوكلا فليلزم عتبة اليقين ولا يفارقها، وقد أبان الكاتب بهذا المصطلح (**تنفس اليقين**) شدة الارتباط بين النفس واليقين، فكما أن النفس يلازم صاحبه وهو أمارة على حياته فإنه لا يصل إلى حقيقة التوكل إلا باليقين؛ لأنه جزم القلب بحصول شيء غائب[2] دفعه إليه ثقته بالمتوكل عليه وهو الله ﷻ، يقول الأستاذ إبراهيم السكران: "لو علم المرء أن فلانا من المسئولين هو المتكفل بمعاملته لتنفس اليقين وفرغ قلبه من الشك بتحقق مطلبه" [3].

وقد بني هذا المصطلح بناء إضافيا تظافر فيه الطرفان حتى صارا جزءا واحدا وعلى هذا

(١) السابق: ١٣٩

(٢) انظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ٢/ ٤٩٧

(٣) رقائق القرآن : ١٣٩

البناء جاءت مصطلحات كثيرة مثل (أبدية الحياة.. وسيلة الدنيا.. معارج اليقين) ويأتي الجزء الأول في التركيب الإضافي مصدرا على الأغلب؛ لأن المصدر فيه نوع تأكيد وتقوية لوقوع الفعل الذي دل عليه[١].

فم الاستغراب[٢]:

تظهر كثير من المشاعر على ظاهر الإنسان ومحياه، حتى تستحيل المشاعر المختبئة خلف الصدر ظاهرة جلية، وقد قيل: ما أبطن امرؤ أمرا إلا ظهر من صفحات وجهه وفلتات لسانه[٣].

والكناية بالفم من أبين البيان؛ لأنه الناطق عن صاحبه والمبين لما يحمله من علم وثقافة.. فكلامه إبانة وصمته دلالة وعلامة.. ومن الدلائل الصامتة (فغر الفاه) والفغر غالبا يقترن بالفم[٤]، وقد تشتبك بعض الدلالات في تفسيره لذا بين الكاتب مراده حين قيده بالاستغراب، يقول: "ومما يفغر فم الاستغراب حين يتأمل المرء هذه الحقائق القرآنية التي أخبرنا بها الله ذاته، ثم يلاحظ غياب الانتفاع والاستفادة من هذه الحقائق في حياتنا" [٥].

---

(١) لاسيما إن كان مفعولا مطلقا نحو قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ النساء: ١٦٤ ، انظر: دلالة المصدر في اللغة وصياغته وأحواله وأثره في الأسلوب، للأستاذ صلاح عبدالعزيز السيد، مطبعة الرضا بكلخا، الطبعة الأولى ١٤١١ه- ١٩٩١م : ١٤٥

(٢) انظر: رقائق القرآن: ١٤٠

(٣) نسبها ابن كثير في التفسير إلى عثمان رضي الله عنه، ٧/ ٢٩٧

(٤) انظر : تهذيب اللغة للأزهري، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م ٨/ ١١٢ ، وانظر الجوهري: الصحاح ٢/ ٧٨٢

(٥) انظر رقائق القرآن: ١٤٠

رابعا: المصطلحات الفنية في كتاب: (مسلكيات) ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م:

يبحث هذا الكتاب في طرق العلماء ومناهجهم التي اتخذوها لأنفسهم في مسلكين:

الأول: العلم وتحصيل المعرفة.

الثاني: الإيمان وتزكية النفوس.

والذي دفعه لاختيار هذين المسلكين تنويه القرآن الكريم بشأنهما، مع تقديم العلم على الإيمان، وقد التزم الكاتب بذلك فذكر مسالك العلم أولا، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ الروم: ٥٦ وقال سبحانه: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ آل عمران: ٧ وقد ذكر في هذا الكتاب جملة من المصطلحات، منها:

التصنيف التحصيلي[1]: يرمي هذا المصطلح إلى بيان مسالك العلماء في تصنيف العلم، إذ جعل بعضهم ما يحصله من علم على شكل مصنف، تقريبا للمعلومة وترتيبا لها، وممن اشتهر في هذا الإمام النووي رحمه الله، الذي دون لنفسه مصنفات أثناء طلبه للعلم لتكون معينة له على استحضار الحكم مع دليله

ويمتاز المصطلح بأنه أبان عن غرض التصنيف، وهو التحصيل، إذ يتبادر إلى الذهن أن مؤلف أي كتاب إنما يقدم كتابه لغيره، إلا أن هذا المسلك جعل تقديم المصنف عائدا إلى المؤلف نفسه، فكأن المعنى التحصيل بالتصنيف، ولو قال: (التصنيف الذاتي) لربما كان أظهر.

وبني هذا المصطلح على تعريف الطرفين، وهو من أساليب القصر المشهورة عند

(١) مسلكيات، دار الحضارة للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م: ٧١

العرب[1]، فالتصنيف هذا مقصور على التحصيل، وصاغ من الفعل (صنف) المصدر: (تصنيف) ليزيد المعنى تأكيداً وفي كلمة (التصنيف) مزيد عناية ودقة وتحرير وتدقيق لا تكاد تجدها في كلمة (تأليف)، ولذا يؤثرها المتقدمون على غيرها [2].

الاكتفاء النصي الذاتي[3]: ويقصد بهذا المصطلح أن معاني القرآن الكريم لا تفتقر في بيان مرادها إلى غيرها من معاجم لغوية أو كتب نحوية أو أشعار، بل القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً [4].

يقول الكاتب: "ولكن للبحر أبي العباس ابن تيمية طريقة أخرى تفرّد بكمية وكثافة حضورها في تفسيره لألفاظ النصوص، يمكن تسميتها مبدأ **الاكتفاء النصي الذاتي**" [5].

وهذا المصطلح على طوله لم يكشف مراد الكاتب، إذ لم يشر فيه من قريب أو بعيد إلى القرآن الكريم الذي هو محور حديث شيخ الإسلام، كما أنه لم يذكر في المصطلح أن الاكتفاء متعلق بالمعاني، ولو قيل: (الاكتفاء المعنوي للقرآن الكريم) لكان أظهر.

ولقد كشف الكاتب بهذا المصطلح عن ميزة فريدة لمعاني القرآن الكريم وبيان ألفاظه جديرة بالكشف والدراسة، كما أن هذا المصطلح أبان من وجه آخر ما يتمتع به شيخ الإسلام من

---

(١) انظر: خصائص التراكيب أ.د محمد محمد أبوموسى ، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الثامنة ١٤٣٠هـ : ٣٣٩

(٢) انظر: الصحاح ٤/ ٣٨٨ وانظر: لسان العرب: ٩/ ١٩٨

(٣) مسلكيات: ١٢٦

(٤) انظر السابق: ١٢٦ – ١٢٧

(٥) انظر السابق: ١٢٦

حس لغوي عال أوصله إلى هذا الاستنباط العجيب.

ج سر التعب[١]: يتحدث الأستاذ السكران عن طبيعة الحياة وصعوبتها، التي تُلقي في طريق سالكها عقباتٍ وتحدياتٍ وصوارفَ، ولا بد حيال ذلك أن يستمسك المرء بحبال الصبر ليتجاوز هذه العقبات، وفي جرعة الصبر عليه أن يمر بالجسر جسر التعب، الصبر الذي هو مر المذاق ولكن عاقبته حسنة، يقول الأستاذ السكران: "معالي الأمور والطموحات الكبرى في العلم والتعليم والتأليف والإصلاح والتغيير والنهضة بالأمة لا تكشف وجهها لك حتى تمسح العرق عن جبينك بيد ترتعش من العناء" [٢] فهذا جسر التعب الذي عناه الكاتب مآله إلى خير؛ لأن كل عمل جاد تكتنفه مشاق لا محالة، وقد جاء المصطلح من قبل على لسان أبي تمام (ت ٢٣١ه):

بصرتَ بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من التعب[٣]

ضمن قصيدته الشهيرة: (السيف أصدق إنباء من الكتب..) والشاعر يخاطب الخليفة المعتصم الذي عبر جسر التعب ونازل الروم وانتصر عليهم[٤].

وأبان المصطلح أن الصبر كالجسر الموصل، فإنه لا سبيل إلى الوصول لما نريد إلا عن طريق الصبر فمن صبر ظفر، ثم أكد المصطلح هذا المعنى بصورة حسية حين رسم في

(١) مسلكيات: ١١

(٢) السابق: ١٣

(٣) ديوان أبي تمام مع شرحه للخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : راجي الأسمر، الناشر : دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الثالثة/ ١٤١٨ه-١٩٩٨م ، ١/ ٤٩

(٤) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م سنة النشر: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ١٤/ ٢٥٠

مخيلة القارئ الجسر الذي يُعبر للانتقال من مكان لآخر، وهذا تحول مكاني، والمصطلح يرمي إلى تحول الهيئة والحال، وقد ركب المصطلح تركيبا إضافيا، وهذا التركيب يجعل الكلمتين بمثابة الكلمة الواحدة؛ لأنه يلازم بينها، فلا سبيل إلى معنى الكلمة الأولى إلا بضم الثانية إليها، وإذا نظرنا إلى أثر هذا التركيب على دلالة المصطلح نجد أن التركيب يؤكد التلازم بين الانتقال والتعب، ففي كل تقدم يصاحبك التعب كما يصاحبك الجسر الذي تسير عليه.

مأزق المترقب[1]: المصطلح عنوان لمقالة تحدث فيها عن تكاسل البعض وعدم استغلال عمره الذهبي في العطاء والعمل، فهو كالمترقب المتحسر الذي يرى إنجازات غيره لكن لم يحرك ساكنا، فعطل قدراته وأغم نفسه وأحرقها باللوم، يقول الكاتب: (هل هذا يعني أن الإنسان المترقب هو كائن معزول الإحساس بالزمن؟ هل المترقب عديم الأحلام والطموحات؟ لا، بل هو يتحرق كثيرا ويتمنى أن يصنع شيئًا لنفسه وللآخرين، ولكنه واقف كالمشلول.. لماذا؟ المترقب ذاته لا يدري)[2].

وقد أبانت كلمة (مأزق) عما يجيش به الصدر من تلاؤم وتأزم، يقول الفراء (ت ٢٠٥ه): (تأزق صدري أي ضاق)[3] وهذه الكلمة تستحضر في الذهن صورة لقاء بين جيشين في مكان ضيق، يقول ابن منظور (ت ٧١١ه): (المأزق الموضع الضيق الذي يقتتلونه فيه)[4]، وهذا القتال هو ما يحدث داخل صدر القاعد المترقب الذي لم يزل في حرج من نفسه.

(١) مسلكيات: ٢٩

(٢) السابق: ٣٠

(٣) لسان العرب ١٠/ ٥

(٤) السابق: ١٠/ ٥

وإضـــافة (مأزق) إلى (المترقب) جعلت مدى المتأزق طويلا دائمـًا، كما أبانت موضـــع الحســـرة، إذ يرى غيره ســـائر وهو قـاعـد، وغيره لم يزل متصـــعـدا وهو لم يزل في سفول، كل هذا تحت مرأى منه ومسمع.

صفاء الأنبجانية[1]: جاء هذا المصـطلح عنوانا لمقالة تحدث فيها المؤلف عن الخشـوع في الصـــلاة، وقد اســـتند في هذا المصـــطلح على موقف أهدي فيه للنبي ﷺ كســـاء فيه خطوط وتصـــاوير، فانشـــغل به عن صـــلاته، فأمر بهذا الكســـاء أن يُعاد إلى صـــاحبه ويؤتى بدلا عنه بأنبجانية[2]، وهي كساء كذلك لكن ليس فيه تصاوير كالأول[3]، فهو لا يشغل في الصلاة.

فالنبي ﷺ طلب صـــفاء العبادة والإقبال إليها بإبعاد ما يشـــغله، وهذا ما عبر عنه الجزء الأول من المصـطلح: (صـفاء) الذي يشـير إلى خلو الذهن في وضـوحه وجلائه، وصـفاء القلب في سلامته من كل الشوائب.

فصـــارت الأنبجانية في هذا المصـــطلح كالماء العذب الذي يصـــفو لشـــاربه، واتخذ المؤلف منهـا رمزا للصـــفـاء ودليلا عليه؛ وذلـك لأن النفوس لا تلهـث خلف الشـــيء القليل الثمن كالأنبجانية ولا تنشغل به عما هي فيه، وجعلها سببا في سكون النفس وعدم انشغالها؛ وذلك لأنها كساء ليس فيه ما يشغل البصر

ومن تأمل هذا المصـــطلح وجد أن الكاتب لم يصـــرح بالخشـــوع إنما بشـــيء من آثاره وهو

(١) مسلكيات: ١٠٥

(٢) الحديث رواه البخاري برقم (٣٧٣) ومسلم برقم (٥٥٦).

(٣) انظر: الإعلام بفوائد عمدة الأحكام لابن الملقن، المحقق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ٤/ ٦٦

الصفاء، والتعبير بأثر الشيء أبلغ من التعبير به مباشرة؛ لأن الأثر يدل على استقرار ذلك الشيء وتمكنه حتى نابت آثاره عنه.

طحين التساؤلات[1]: عبر الكاتب بهذا المصطلح عن كثرة التساؤلات يقول: "ينثال طحين التساؤلات حين ندير رحى المقارنات والتقابلات"، فاستعار الطحين للدلالة على الكثرة وهذا غريب، إلا أن هذه الاستعارة متسقة مع السياق وملائمة له، إذ جاء في السياق ذكر دوران الرحى الذي يطحن به الدقيق.

وقد أبان الكاتب بهذا المصطلح عما قصده من وصف لكثرة التساؤلات فربط بينها وبين الطحين الذي إذا انهمل تتابعت أجزاؤه دون توقف، فهي كثيرة وتستعصي على العد، وجاء الكاتب بـ(انثال) وهو يوحي بانهمار التساؤلات مرة بعد مرة توقف، وجاء في المعجم الوسيط: (انثالت عليه الأفكار، تتابعت وكثرت فلم يدر بأيها ينطق)[2].

خامسا: المصطلحات الفنية في كتاب (الماجريات) ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م:

يكشف الكاتب عن أحوال الناس في تعاملهم مع ما يقع من أحداث سياسية واجتماعية تشغل الرأي العام وتكون محور اهتمامه وحديثه لفترة زمنية، ويعرض الكتاب نماذج لأعلام بارزين عاشوا في خضم أحداث أحسنوا التعامل معها، ولم تثنهم عن مشاريعهم العلمية والعملية.

ويمتاز الكتاب عما سبقه بحضور مصطلحات أعمق معنى وأبين صورة مما سبقها، وهذا ينبئ على تطور التجربة المصطلحية عند الكاتب إبراهيم السكران، ومن أبرز المصطلحات

(١) مسلكيات: ١٠٦

(٢) المعجم الوسيط: ١/ ١٠٢

التي وردت في هذا الكتاب:

العمى الزمني[1]: العمى فقد آلة الإبصار، وقد يطلق على ضلال القلب وانحرافه[2]، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ الحج: ٤٦ أما العمى في هذا المصطلح فإنه أُسند إلى الزمن، وهو إسناد نوعي يضع اليد على المعنى الجديد الذي أبانه المصطلح.

والمصطلح السابق يكشف الهدر الزمني حين غزت الأجهزة الحديثة حياتنا وازداد الناس بها شغفا وانهالت وسائل التواصل الاجتماعي التي تعرض بضاعتها بشكل جذاب يسر الناظرين، مما جعل كثيرا من الناس يقضون معها أوقاتًا ممتدة، غافلين عن الزمن الذي يتصرم من بين أيديهم، وهذا كالأعمى الذي لا يعرف الوقت لفقده آلة الإبصار، والذي ينغمس في هذه الوسائل شبيه بحالة الأعمى، ومن هنا جاء المصطلح (العمى الزمني).

النبأ المتدحرج[3]: النبأ هو الخبر العظيم، وهو البعث بعد الموت[4]، وفي التنزيل قال تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ النبأ: ١ - ٢، والمدهش في هذا المصطلح أنه وصف النبأ بالمتدحرج، فهل يعني بهذا الوصف أنه نبأ تتناقله الأسماع؟ أم أن له معنى آخر؟

جاء هذا المصطلح في سياق الحديث عن وسائل التواصل التي تحمل كثيرا من الأخبار،

(١) الماجريات ، دار الحضارة للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م : ٦١

(٢) انظر: الخليل بن أحمد ، كتاب العين المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال ٢/ ٢٦٦ وانظر الصحاح : ٦/ ٤٣٩

(٣) الماجريات: ٦٤

(٤) تفسير ابن كثير: ٨/ ٣٠٦- ٣٠٧

التي تبدأ محدودة ثم تتسع من خلال الردود والرد على الردود ونقاشها والتعليق عليها ونقلها إلى المجالس واختلاف الرؤى والأطروحات حولها.. والكاتب في هذا المصطلح يشبّه الخبر بكرة الثلج التي تبدأ صغيرة ثم تكبر بتدحرجها نظرا لما يتراكم عليها من الثلج الذي تمر عليه، وهذا ينطبق تماما على الخبر الذي يبدأ صغيرا ثم يكبر.

فالخبر يبدأ صغيرا ثم يكبر لما يأتي عليه من ردود ونقاشات، ضخمت هذا النبأ وربما زادت فيه ما ليس منه، وربما كان هذا الخبر هامشيًا لكن تناقل الألسنة له في المجالس جعله ذا بال، لاسيما إن تكلم فيه غير المتخصص، ولذا صار نبأ متدحرجًا، ويكشف المصطلح من جهة أخرى سرعة تناقل هذه الأنباء دون تثبت، لأن كرة الثلج تنحدر مسرعة لا تأبه بما يعرض لها، فربما تعرضت لحجر صلد أو جذع شجرة كان سببا في تحطمها.

الكتابة التزكوية[1]: جاء بهذا المصطلح وصفا للتدوين في الإيمانيات والرقائق، والكتابة خُصصت بـ(التزكوية) وهي مأخوذة من الفعل (زكّى) والمقصود بهذا المصطلح الكتابة الوجدانية التي تخاطب القلب فتحركه، وتغذي الإيمان والسلوك فيتأثر القلب[2].

واختار المؤلف كلمة (تزكوية) لتتناص مع الآيات الكريمة التي تدعو المسلم إلى التزكية: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ الأعلى: ١٤ ولما يحمله هذا الفعل من جهد وعمل يبذله صاحبه حتى يصل إلى تخليص قلبه من كل ما يقطع سيره إلى الله ﷻ.

وقد كتب كثير في هذا الموضوع قديما وحديثا إلا أن د. فريد الأنصاري[3] حمل طابعا خاصا

(١) الماجريات: ٢٣١

(٢) انظر: المعجم الوسيط: ١/ ٣٩٦

(٣) فريد الأنصاري (ولد بإقليم الراشيدية، المغرب ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م - توفي ١٧ ذو القعدة ١٤٣٠ هـ/ ٥ نوفمبر ٢٠٠٩، تركيا) عالم دين وأديب مغربي، حصل على الدكتوراه في الدراسات الإسلامية

في معالجة هذا الموضوع ولذا خصه الكاتب بهذا المصطلح وقال عنه: "ظهر بلغة تجديدية وجدانية خلابة في عرض الإيمان وتحريك القلوب لباريها وإذكاء جذوة التدين في النفوس وإعادة معايشة الشعائر بكسر الممارسة النمطية المألوفة" (١).

و(أل) التي دخلت على (التزكوية) ليست للتعريف كما هو الظاهر، إنما هي اسم موصول بمعنى (التي) وهي نعت للكتابة، فكأنه قيل: الكتابة التي تزكي، وهذا التركيب يقوي من ترابط ركني المصطلح إذ صار الثاني نعتًا للأول، وارتباط النعت بالمنعوت يجعل الكلمتين كلمة واحدة، وهذا يلقي بظلاله على دلالة المصطلح التي تتوسع بهذا الارتباط، وصار المصطلح يحمل دلالة الاسم الموصول في (أل) ويحمل دلالة الصفة؛ لأنه وصف للطرف الأول (الكتابة).

الاستصنام السياسي(٢): جاء المصطلح في الحديث عن جهود د. فريد الأنصاري في نقد الحركة الإصلاحية في المغرب، إذ ذكر أن هذه الحركة تعرضت لآفات حالت دون نجاحها، من هذه الآفات (**الاستصنام السياسي**) ذلك أن العاملين في الحقل الإصلاحي قد جعلوا السياسة هدفا رئيسا مقدسا لا يقبل المساومة، وربما جرهم إلى إغفال جوانب من أركان الإصلاح بحجة الانشغال بالسياسة وتدابيرها، فصارت السياسة هدفا لا يحيدون عنه، وليست غرضا أو وسيلة لبث القيم والإصلاح.

والمصطلح يتكون من جزأين الأول: (الاستصنام) وقد صيغ على وزن (استفعال) التي تأتي غالبا للطلب والسؤال، تقول: استعان واستغفر واستنجد إذا طلب العون والمغفرة والنجدة،

تخصص أصول الفقه، عمل رئيسا لقسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب، انظر موقعه الرسمي (www.alfetria.com)

(١) الماجريات: ٢٣١

(٢) الماجريات: ٢٩٦ ، وقد ذكره د.فريد في كتابه (الأخطاء الستة).

وقد تأتي بمعنى التصيير والتحويل[1]، وهذا المعنى الملائم للمصطلح هنا، فـــ(الاستصنام السياسي) أي جعل السياسة وتصييرها صنما.

ويظهر جليا أن المصطلح حمل صورة ضمنية، إذ شبه فيه الكاتب تقديس بعض الحركات الإصلاحية للجانب السياسي بتقديس صاحب الصنم لصنمه، فهو يعبده ويرجو منه النفع ودفع الضر، ولم يعد تضخيم الجانب السياسي كالصنم، بل صار صنما حقيقة ليس في عبادته فحسب إنما في استمساك أهله به، وتقديسهم له.

ويظهر في هذا المصطلح قدرة الكاتب السكران على استنباط المصطلحات من خلال قراءته العميقة وفهمه لمراد المتكلم، إذ لم يصرح د. فريد بهذا المصطلح إنما استله الكاتب السكران من عنوان رسالة للدكتور فريد وبناه بأسلوبه، وهذه قدرة جيدة؛ لأنها تدفع إلى الغوص في دلالات النص وتقود إلى استخراج المصطلحات، فأخذ الكاتب السكران لفظ (استصنامي) وصاغ منها وزن استفعال، وأخذ من كلمة (حركة) السياسة، لأن التحرك الإسلامي الذي يعنيه إنما هو الإصلاح السياسي.

ا ستنامة الواقع[2]: جاء الكاتب بهذا المصطلح في سياق حديثه عن أثر الانسياق خلف الأخبار السياسية وتتبع الوقائع اليومية والأخبار والأحداث حتى تحدث عنده ظاهرة ما يسمى: (**ا ستنامة الواقع**) وهو يعني الخضوع للواقع وتفريغ الجهد والوسع لما يستجد فيه

(١) انظر: الكتاب لسيبويه، المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ٤/ ٧١ وانظر: شرح شافية ابن الحاجب للرضي الاستراباذي مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمها، الأساتذة: محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف - ومحمد محيى الدين عبد الحميد ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان عام النشر: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م : ١٠٧

(٢) الماجريات: ٣١٨

من أحداث وأخبار، وإشـغال نفسـه بها دون أن يكون له عمل جاد منظم، إذ هو مأخوذ من النوم.

وأُخذ المصـطلح (اسـتنام) من النوم، وهو ملائم لحال المنشـغل بالمجريات والأخبار إذ تغشاه الغفلة والذهول حين يتعمق في لججها فيمر عليه الوقت دون إدراك لما حوله، كالنائم المسـتغرق في نومه لا يعلم بمن حوله، فالنائم بعينه كالنائم بقلبه بل ربما يكون أشـد، وقد جاء في صحاح الجوهري: استنام إليه أي سكن إليه واطمأن[1].

يقول الكاتب إبراهيم السـكران: "الدوران في تروس الماجريات الفكرية والسـياسـية يزيح المرء عن الجهود الجادة والمنظمة في المعرفة والإيمان والإصـلاح، وينتهي بصـاحبه إلى حالة كثرة الثرثرة وشح العمل ويخلق الوعي المزيف بأن يتوهم المرء أنه في كبد الإصلاح، وهو واضع ذقنه على كفه فوق أريكة المشاهدين لا غير" [2].

وقد صـاغ الكاتب السـكران هذا المصـطلح كعادته على وزن الاسـتفعال الذي يدل على الطلب، وكأن هذا الغارق في مجريات الأحداث يطلب لنفسه الاستنامة والركون؛ لأن نفسه ألفت مثل هذه الأخبار وأدخلتها في حيز الأمور المعتادة وربما كان مسـوقا لها دون اكتراث أو وعي.

استبحار العلم[3]: هذا المصطلح يصف اتساع العلم بالبحر، وقد جاء به المؤلف في خاتمه حديثه عن "الماجريات" وانشـغال الناس بالأحداث من حولهم، وقد عقد فصـلا ذكر فيه بعض المحفزات إلى استغلال الأوقات فيما ينفع ويجدي وكان مما ذكر التبحر في العلم.

---

(١) الصحاح: ٥/ ٢٠٤٦

(٢) الماجريات: ٣١٩

(٣) الماجريات: ٣٢٧

ذلك لأن العلوم تتسع وتنمو ولا بد في مقابل ذلك من همة كبيرة تعين صاحبها على خوض هذه البحار من العلم، ولذا نص المصطلح على البحر الذي فيه العمق والاتساع والتنوع لما في جوفه من كائنات ونباتات، وكذلك العلم إن غاض فيه الإنسان أدهشته الفوائد المتنوعة، ولا يمكن إدراك قاعه.

يقول الكاتب: "تتصرم السنوات والشغوف بالعلم ما أروى نهتمه من بعد، ولا حقق خططه في استيفاء مسائله، حتى بات القبول بالتخصص العلمي اليوم حقيقة فرضت نفسها بالقوة لا بالاختيار بسبب استبحار العلوم الجليلة وتفرعها وتشعبها" (١).

وليس هذا المصطلح من مبتكرات الكاتب، بل وجد عند بعض الشعراء (٢)؛ لأن البحر من المكونات الأساسية لأي بيئة، وقد جعله العرب مثلا في العظمة والاتساع والرهبة، يقول امرؤ القيس: وليل كموج البحر أرخى سدوله * عليّ بأنواع الهموم ليبتلي (٣)

(١) السابق.

(٢) وقد جاء هذا التشبيه على ألسنة كثير من الشعراء كأبي تمام الذي يقول:

إني ونصرا والرضا بجواره * كالبحر لا يبغي سواه مجاوره

انظر ديوانه: ١/ ٣٤٢

وكالمتنبي الذي يقول:

أي حيثما كنت تـــرى عطـــاءه * كما ترى ضوء البدر حيثما كنت من البلاد

كالبحر يقذف للقريب جواهـــرا * جـــودا ويبـــعث للبعـيد سحائـبـا

انظر : العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب للعلامة اللغوي الشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية٢٠٠٥م ١/ ٢٤٨

(٣) انظر : ديوان امرئ القيس اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي الناشر: دار المعرفة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م : ٤٨

الخاتمـــة

بعد دراسة المصطلحات الفنية عند الأستاذ إبراهيم السكران توصلت إلى نتائج منها:

أولا: أن أدوات علم البيان غير محصـــورة، وأن ما ذكره المتقدمون ليس حصـــرا يخرج ما عداها.

ثانيا: أن من أبرز أدوات البيان: الاصـــطلاح الفني، الذي يســـهم في الكشـــف عن الدلالات ويقدمها في صورة مبتكرة، محلاة بالتصوير والإدهاش.

ثالثا: أن الاصـطلاح الفني يتمازج مع فنون البيان الأخرى كالتشـبيه والاسـتعارة، ويفيد منها، وهذا يدل على تمكن الاصطلاح الفني من البيان وقربه من الأدوات التراثية.

رابعا: أن تجربة إبراهيم الســكران الاصــطلاحية لها ســمات أعلت شــأنها، منها: التجديد والإثراء والإدهاش وتوظيف نصوص التراث وغيرها.

التوصـيات:

أولاً: دفع الباحثين للكشـف عن أدوات بيانية جديدة وتوسـيع الدراسـات في ذلك، فإن علم البيان ليس حصرا على ما ذكره المتقدمون من تشبيه ونجاز وكناية، إنما كل أداة أسهمت في بيان الفكرة وتوضيح المعنى فهي منه.

وعليه فإن في اللغة أدوات بيان تفتقر إلى تجلية وبيان، وإظهارها من أعظم السبل لتوسيع هذا العلم الذي يخدم المتكلم والمتلقي.

ثانياً: إبراز تجارب كبار الكتاب في مجال المصطلحات الفنية، فإن في هذه التجارب أساليب خاصة وطرقا مبتكرة أسهمت في الإبانة.

ثالثاً: الإفادة من المصـــطلح الفني في نقل العلوم الوافدة وتعريبها، فإن المناهج النقدية الجديدة تفد إلينا بمصـــطلحات ربما لا تلائم طبيعة اللغة أو يكون نقلها على نحو غير كاشف للدلالة بأبعادها، فيلجأ الأديب إلى ابتكار مصطلحات فنية تفي بالمعنى ولا تخالف طبيعة اللغة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: كتب الأستاذ إبراهيم السكران:

التأويل الحداثي للتراث لإبراهيم السكران، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

رقائق القرآن، دار الحضارة للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م

الطريق إلى القرآن لإبراهيم السكران، مركز الفكر المعاصر، بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ

الماجريات، دار الحضارة للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

مسلكيات، دار الحضارة للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

ثانيا: الكتب العامة:

الأعلام للزركلي، الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر-أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

الإعلام بفوائد عمدة الأحكام لابن الملقن، المحقق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان لشحاتة محمد صقر، الناشر: دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي

إسلام المجددين لحمزة محمّد، دار الطليعة للطباعة والنشر – رابطة العقلانيّين العرب، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى.

الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لأبي الحسين العمراني، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة:

الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق وشرح الشيخ عبدالسلام هارون، دار الجيل

تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية

التعريفات للجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

تهذيب اللغة للأزهري، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

تيسير الكريم الرحمن للإمام السعدي، تحقيق د. عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة.

جامع العلوم والحكم لابن رجب المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

خصائص التراكيب أ. د محمد محمد أبوموسى، مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الثامنة ١٤٣٠هـ

دلالة المصدر في اللغة وصياغته وأحواله وأثره في الأسلوب، للأستاذ صلاح عبدالعزيز السيد،

مطبعة الرضا بكلخا، الطبعة الأولى ١٤١١ه- ١٩٩١م.

ديوان أبي تمام مع شرحه للخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر، الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الثالثة/ ١٤١٨ه-١٩٩٨م.

ديوان امرئ القيس اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي الناشر: دار المعرفة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

الرسالة المفيدة للإمام محمد بن عبدالوهاب، المحقق: محمد بن عبد العزيز المانع الناشر: رئاسة إدراة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

ساعات بين الكتب للعقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.

سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

شرح شافية ابن الحاجب للرضي الاستراباذي مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف - ومحمد محيى الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس، الناشر: محمد علي بيضون الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

الصحاح للجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م

العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب للعلامة اللغوي الشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية٢٠٠٥م.

القاموس المحيط للفيروز أبادي: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد

نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

قضايا في نقد العقل الديني لأركون، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة.

الكتاب لسيبويه، المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، رتبه على حروف المعجم د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م

لسان العرب لابن منظور، دار صادر– بيروت

المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة، المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

المعجم العربي لأسماء الملابس «في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث""د. رجب عبدالجواد إبراهيم، راجع المادة المغربية: أ. د/ عبد الهادي التازي (عضو الأكاديمية المغربية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة) الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة – جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

مفتاح العلوم للسكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

النحو الوافي لعباس حسن، دار المعارف الطبعة الخامسة عشرة.

المواقع الالكترونية: موقع د فريد الأنصاري الرسمي: (www. alfetria. com)

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	١٥٨٣
المقدمة	١٥٨٥
التمهيد	١٥٨٩
مفهوم المصطلح الفني	١٥٩١
تعريف بالأستاذ إبراهيم السكران	١٥٩٣
أبرز المصطلحات ودلالاتها	١٥٩٥
أولاً: المصطلحات الفنية في كتاب (الطريق إلى القرآن):	١٥٩٦
القلوب الصخرية	١٥٩٦
عقاقير الرقائق	١٥٩٧
صيادلة الإيمان	١٥٩٧
وسيلية الدنيا – مركزية الآخرة	١٥٩٧
جوهر البرهان	١٥٩٨
النفاق الفكري	١٥٩٨
آحاد الذكر	١٥٩٩
ثانيا: المصطلحات الفنية في كتاب: (التأويل الحداثي للتراث):	١٥٩٩
لغة جنائزية	١٦٠٠
حنابلة المسيحية	١٦٠١
توفيد العلوم	١٦٠٣
الاستدماج	١٦٠٤
مثقفو البلاط	١٦٠٥
تنازع الرؤوس	١٦٠٦
لبرلة التكفير المعتزلي	١٦٠٧
ثالثا: المصطلحات الفنية في كتاب: رقائق القرآن:	١٦٠٨

دوامة التكاثر	١٦٠٨
أبدية الحياة الآخرة – تأقيت الحياة الدنيا	١٦٠٩
عقيدة انتظار الموت	١٦٠٩
تنفس اليقين	١٦١٠
فم الاستغراب	١٦١١
ثالثا: المصطلحات الفنية في كتاب: (مسلكيات):	١٦١٢
التصنيف التحصيلي	١٦١٢
الاكتفاء النصي الذاتي	١٦١٣
جسر التعب	١٦١٤
مأزق المترقب	١٦١٥
صفاء الأنبجانية	١٦١٦
طحين التساؤلات	١٦١٧
خامسا: المصطلحات الفنية في كتاب (الماجريات):	١٦١٧
العمى الزمني	١٦١٨
النبأ المتدحرج	١٦١٨
الكتابة التزكوية	١٦١٩
الاستصنام السياسي	١٦٢٠
استنامة الواقع	١٦٢١
استبحار العلم	١٦٢٢
التوصيات	١٦٢٤
قائمة المصادر والمراجع:	١٦٢٥
أولا: كتب الأستاذ إبراهيم السكران	١٦٢٥
ثانيا: الكتب العامة	١٦٢٥